التنازل عن القدس خيانة لله ورسوله وللأمة كلها

س : نريد من سماحتكم بيان حكم الشرع في موقف الرئيس ياسر عرفات من رفضه التنازل عن (القدس الشريفة) بما فيها من مقدسات إسلامية ومسيحية مثل المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة ، ومسجد عمر بن الخطاب ، وغيرها من الأوقاف الإسلامية كما أن فيها كنيسة القيامة ، وطريق الآلام الذي مشى فيه المسيح ، عليه السلام ، وغير ذلك من المقدسات المسيحية .

وهل كان يسع الرئيس عرفات أن يتنازل عن القدس ؛ استجابة للضغوط الأمريكية والإسرائيلية؟ وهل يسع العرب والمسلمين في أنحاء العالم السكوت عن هذه الفعلة لو ارتكبت؟

شباب من أبناء غزة

ج : الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد . . فلا يجوز للرئيس ياسر عرفات ، ولاغيره أن يتنازل عن أيّ جزء من أرض الإسلام ، فأرض الإسلام ليست ملكًا لرئيس ولا لأمير ولا لوزير ولا لجماعة من الناس ، حتى نتنازل عنها تحت أيّ ضغط أو ظرف . وإنما الواجب على الأفراد والجماعات الجهاد والنفير والمقاومة لتحرير أيّ أرض احتلها الأعداء أو لاستعادتها

إذا اغتصبها مغتصب ، والأمة كلها مسئولة بالتضامن عن ذلك ، لا يملك حاكم ولا محكوم التفريط في هذا الأمر .

وإذا عجز جيل من أجيال الأمة أو تقاعس ، فلا يجوز له أن يفرض عجزه أو تقاعسه على كل أجيال الأمة القادمة إلى يوم القيامة ، فيتنازل عما لا يجوز له التنازل عنه .

ولهذا أصدرنا فتوانا بتحريم بيع الأرض للأعداء أو قبول التعويض عن أرض فلسطين بالنسبة للاجئين المشردين في أنحاء العالم ، ولو بلغ ما بلغ من المليارات ، فأوطان الإسلام لا تقبل البيع ولا التنازل أو التعويض عنها بحال من الأحوال ، ومن فعل ذلك فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين .

وإذا كان هذا الحكم في شأن أيّ أرض إسلامية ، فكيف إذا كانت هذه الأرض هى القدس الشريف ، أولى القبلتين ، وبلد المسجد الأقصى ، وثالث المدن المعظمة في الإسلام بعد مكة والمدينة ، والأرض التي انتهى إليها الإسراء ، وابتدأ منها المعراج . وحسبنا في فضلها قول الله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ (الإسراء: ١).

ولهذا كان للقدس مكان في قلب كل مسلم ، في المشرق أو المغرب ، تمس شغافه ، وتتغلغل في أعماقه ؛ حبًّا لها ،

وحرصًا عليها ، وغيرة على حرماتها ، واهتمامًا بشأنها . ومن أجلها أصبحت قضية فلسطين هي قضية المسلمين الأولى ، لها يفزعون ، وعليها يحافظون ، وفي سبيلها يدافعون ويقاتلون ، ولا يضنون عليها بنفس ولا نفيس .

والقدس هي رمز قضية فلسطين ، المشير إليها والمعبر عنها ، وهي جوهر القضية وروحها ، وهي كما قال القائل :

فما معنى فلسطين بلا أقصى ولا قدس؟
فلسطين بلا قدس كجثمان بلا رأس!

ولقد أحسن الرئيس عرفات في رفضه المساومة على القدس في قمة (كامب ديفيد) الثانية ، وإن أخفقت وفشلت هذه القمة ، فهذا الفشل هو عين النجاح ، ولا غرو أن يُستقبل عرفات بعد عودته بكل الترحاب والتكريم .

وقال عرفات في ذلك كلمة حق تحسب له في رفض التنازل عن القدس : حتى إذا كان في ذلك قتلى ، فلأن أقتل بيد إسرائيليّ متعصب خير من أن أقتل بيد عربيّ مسلم!

إن القدس ليست ملك الفلسطينيين وحدهم ، إنها ملك المسلمين جميعًا ، عربهم وعجمهم ، كما أنها ملك العرب كافة ، مسلميهم ومسيحييهم .

ولا يجوز للفلسطينيين وحدهم أن يتصرفوا في مصير القدس ، ويفتئتوا على المسلمين في أنحاء الأرض . وهذا بالتالي يوجب على المسلمين ـ حيثما كانوا ـ أن يقوموا بواجبهم في الدفاع عن بيت المقدس ، والمسجد الأقصى ، وهذا فرض عليهم جميعًا ، يتكافلون في الذود عنه بأنفسهم وأموالهم وكل ما ملكت أيديهم ، وإلا حقت عليهم عقوبة الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ (التوبة: ٣٨-٣٩).

وكثيرًا ما سألني شباب مسلم في جولاتي المختلفة في بلاد الإسلام ، وضعوا رءوسهم على أكفهم ، وقالوا بحرارة وحرقة : كيف نبرئ ذمتنا ونسقط الفرض الواجب في أعناقها في الدفاع عن القدس؟ وكيف الطريق إليها؟

ولقد رأينا كيف هاج العالم الإسلاميّ من أقصاه إلى أقصاه ، حينما حاول يهوديّ متعصب إحراق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩، فتنادى المسلمون في كل مكان ، وعقدت القمة الإسلامية الأولى ، التي انبثق عنها إنشاء (منظمة المؤتمر الإسلاميّ).

وحينما احتل الصليبيون القدس قديمًا ، كان الذين عملوا على تحريرها مسلمين من غير العرب ، مثل عماد الدين زنكي التركيّ ، وابنه نور الدين محمود الشهيد ، وتلميذه صلاح الدين الأيوبيّ الكرديّ ، الذي حرر القدس على يديه .

ولا يزال المسلمون في كل مكان ـ أكثر من مليار وثلث ـ مستعدين للبذل والتضحية من أجل القدس العزيز ، وهذا ما لمسته لدى كل الشعوب التي زرتها ، ابتداء من الفليبين وإندونيسيا في الشرق إلى المغرب العربيّ في الغرب ، وإن لم ينعكس هذا بصورة قوية وواضحة لدى حكام المسلمين للأسف ، فمعظمهم من أسرى الاستعمار الثقافيّ ، وعبيد الفكر الغربيّ ، هذا إن كان لديهم فكر ما ، وكثير منهم إنما أكبر همه البقاء في (كرسيّ الحكم) الذي أمسى لهم صنمًا معبودًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومع هذا لا يستطيع هؤلاء الحكام إلا أن ينافقوا شعوبهم ، ويعلنوا عن تمسكهم بالقدس ؛ لترضى عنهم الجماهير المسلمة .

إن القدس جزء عزيز من دار الإسلام ، وأرض الإسلام ، ووطن الإسلام ، وقد صار للمسلمين فيها أربعة عشر قرنًا من الزمان ، ولم يأخذوها من اليهود ، فقد انتهى الوجود اليهوديّ فيها منذ مئات السنين ، كما انتهت دولتهم قبل ذلك بمئات السنين ، فلم تقم لليهود دولة في فلسطين إلا بضع مئات من السنين ، وكان العرب اليبوسيون والكنعانيون فيها منذ آلاف السنين .

لقد تسلم عمر بن الخطاب القدس من (بطريكها) النصرانيّ صفرنيوس ، وكان مما شارط عليه عمر : ألا يساكنهم فيها يهود!

إن السيادة على القدس يجب أن تكون إسلامية عربية فلسطينية ، وهذا لا يمنع المسيحيّ ، كما لا يمنع اليهوديّ ، أن يقيم شعائر دينه فيها بكل حرية وسماحة ، عرف بها الإسلام على توالي العصور .

على أن القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة ومجلس الأمن ـ رغم تحيزها في كثير من الأحيان ضد العرب والمسلمين ـ تؤكد أن القدس ضمن الأراضي العربية المحتلة منذ سنة ١٩٦٧م .

ومن ثم نجد الأدلة كلها من التاريخ ومن الدين ومن القانون الدوليّ متضافرة على إثبات حق الفلسطينيين في القدس . ويجب أن يكون موضوع (القدس) هو البند الأول في جدول أعمال (القمة الإسلامية) التي ستعقد في دولة قطر في شهر نوفمبر القادم سنة ٢٠٠٠م .

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾

(يوسف:٢١)

* * *

قبول التعويض عن أرض فلسطين من أكبر الكبائر

س : لعل فضيلتكم قد تابع ما يدور الآن في دهاليز السياسة ، وصفقات المفاوضات بين الفلسطينيين والصهيونيين الإسرائيليين حول القضايا المعلقة ـ كما يسمونها ـ ومنها : قضية اللاجئين ، وحقهم في العودة إلى وطنهم وديارهم التي أخرجوا منها بغير حق ، وشُردوا في أنحاء الأرض ، ورغم قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن في إعطاء اللاجئين حق العودة إلى ديارهم وبيوتهم ، فإننا نرى إسرائيل تتنكب عن هذا الحق اليقين ، وتريد أن تعيد ألوفًا محدودة ، بقيود وشروط وضعتها هي ، أما الملايين الأربعة المشردون في العالم ـ وربما كانوا أكثر ـ فلا حق لهم في نظر إسرائيل في العودة ، ويمكن أن يُعوضوا عن هذه العودة ببعض المليارات من الدولارات ، يُعْطَى بعضها للأفراد ، وبعضها للدولة الفلسطينية .

والذي نسأل عنه فضيلتكم هنا ، ونريد إجابتكم عنه بصراحة وجلاء : هل يجوز للفلسطينيّ أن يتنازل عن أرضه لإسرائيل والصهاينة ، ويقبل التعويض عنها وإن علا وارتفع ، أو لا يجوز ذلك؟

البعض هنا يقول : لنكن واقعيين ، فما دمنا لا نملك القوة التي نستعيد بها أرضنا ، فلنأخذ العوض عنها ، نستمتع به ونستفيد منه ، بدلاً من أن تضيع علينا الفرصة ، فهل هذا المنطق مقبول شرعًا؟

نرجو البيان بما يشفي الصدور ، ويزيح الشكوك ، ويزيل البلبلة والحيرة ، لدى بعض الناس الذين يشككهم المشككون ، ويوسوس لهم شياطين الإنس والجن .

وفقكم الله تعالى ، ونفع بكم المسلمين في كل مكان .

ج : الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ ، وبعد . . .

فيجوز للمسلم أن يبيع أرضه الخاصة المملوكة له بما يرضى من الثمن ، إذا كان بيعها لمواطن مثله ، كما يجوز أن يتنازل عنها بمقابل ماديّ أو أدبيّ ، أو بغير مقابل هبة أو صدقة أو نحو ذلك ، إذا كان ذلك لمواطن مثله .

وذلك أن الأرض في هذه الحالة تنتقل ملكيتها من يد إلى يد ، ولكنها تبقى في مجموعها في دائرة الملكية العامة للأمة أي في دار الإسلام ، ولم تنفصل ملكيتها إلى أمة أخرى بحيث تخرج من دار الإسلام إلى دار أخرى .

أما بيع الأرض أو التنازل عنها بأي تعويض ـ مهما علا ـ لأمة أخرى ، سواء تمثل ذلك في دولة أم في أفرادها ، فلا يجوز بحال ؛ لأنه في هذه الحال يُعطي باختياره من يُعوضه حقَّ نقل ملكية

الأرض الإسلامية إلى أمة أخرى ، ولا سيما أن هذه الأمة هي العدو الذي اغتصب هذه الأرض ، وأخرجه منها بالحديد والنار ، والدم ، وبهذا تخرج الأرض الإسلامية من دار الإسلام إلى دار أعدائه .

فهذا ليس مجرد حرام ، بل هو من أكبر الكبائر ، التي تصل بمن يستحلها إلى الكفر الأكبر ، والعياذ بالله تعالى .

ويتضاعف الإثم إذا تم ذلك بصفة جماعية ، فهو بمثابة بيع شعب لوطنه في المزاد ، والأوطان لا تُباع بملء الأرض ذهبًا .

فكيف إذا كان هذا الوطن بلد المقدسات وأرض النبوات ، الأرض التي بارك الله فيها للعالمين؟!

ثم إن هذه الأرض ليست ملك صاحبها الذي معه صك ملكيتها وحده ، بل ليست ملك الشعب الفلسطينيّ وحده ؛ حتى يملك بيعها لو أصابه الوهن ، وقَبِلَ البيع ، بل هي في الواقع ملك الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، يجب أن تدافع عنها بالنفس والنفيس .

بل هي ليست ملك هذا الجيل وحده ، بحيث لو وهن وتهاون قُبل التفريط في حرماته ومقدساته ، فلا يجوز أن يفرض وهنه وهوانه على الأجيال القادمة ، ولا يحل له بحال أن يتنازل عن أملاك تلك الأجيال وحقوقها وحرماتها لأعداء الأمة .

إن هناك تصرفات تجوز للأفراد بأشخاصهم ، وذلك فيما يتعلق بحقوقهم الفردية ، وشئونهم الخاصة ، أما التصرفات التي تتعلق بمجموع الأمة ومصيرها ومنها ملكية الأرض ، فلا يملك فرد ولا أفراد ولا أحد حق التصرف فيها ، أو التنازل عنها بحال من الأحوال .

إن الإسلام يفرض على المسلمين فرضًا دينيًّا مؤكدًا أنه إذا اغتصب جزء من أرضهم أي دخله أعداؤهم ، واحتلوه بالقوة ، فإنه يجب عليهم أن يقاتلوا لاسترداد هذا الجزء ، وطرد العدو منه ، مهما كلفهم ذلك ، ويُعتبر هذا القتال شرعًا (فرض عين) على أهل البلد ، رجاله ونسائه ، حتى إن المرأة لتخرج إليه بغير إذن زوجها ، والابن بغير إذن أبيه ؛ لأن حق الجماعة مقدم على حقوق الأفراد .

كما يجب على الأمة أن تقاتل إذا أُخرجت من ديارها ، وأن تقاتل ؛ لتعود إليها ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا** ﴾ (البقرة:٢٤٦).

أما منطق الواهنين الذين يقولون : نقبل التعويض ؛ لأننا لا نملك القوة التي نسترد بها الأرض ، فهذا منطق أوهن من موقفهم نفسه ، ومَن لا يملك القوة اليوم ، فقد يملكها غدًا ، وهو يملك أن يقول : لا ، بملء فِيه ، وبكل قوة ، ولا يتنازل عن أرضه ،

كما لا يتنازل عن عرضه ، ويملك أن يعد العدة للغد ، فإن الدنيا دول ، ودوام الحال من المحال ، والله تعالى يقرر هذه السنة فيقول : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

أما الجائز لا الواجب للاجئين الفلسطينيين فهو تعويضهم عن معاناة السنين الطويلة ، أكثر من نصف قرن من الزمان عانوا فيها هم وأبناؤهم وأحفادهم من عذاب الغربة والتشريد والضياع ، مما يجعل لهم كل الحق أن يُعوضوا عما أصابهم من الأضرار والخسائر المادية والأدبية والنفسية والدينية من جراء التشريد والإخراج من الديار ، الذي جعله القرآن مع القتل في سياق واحد ؛ إذ قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ (النساء: ٦٦).

لقد كسبت إسرائيل عشرات ، بل مئات المليارات من الماركات والدولارات وغيرهما من العملات ؛ تعويضًا عما أصاب اليهود فيما زعموا ، أو تعويضًا لإسرائيل عن بعض ما تعتبره تنازلاً منها ، فلماذا لا يُعوض اللاجئون الفلسطينيون المُعْتَدى عليهم عن عذابهم ومعاناتهم ، وهم أحق بهذا التعويض وأهله؟

* * *

حكم الخونة المتعاونين مع الأعداء

س : ما قولكم في هؤلاء الفلسطينيين الذين شذوا عن جماعتهم ، وخرجوا على صفهم ، وخانوا قومهم ، فتعاونوا مع اليهود الغزاة ، يكشفون لهم العورات ، ويدلونهم على أماكن رجال المقاومة ، فيسهلون لهم اغتيالهم ، إلى غير ذلك من الأعمال التي لا يشك أحد في اتهام أصحابها بالخيانة؟

نرجو من فضيلتكم بيان الحكم الشرعيّ فيما يستحقه هؤلاء المجرمون؟

نفع الله بكم ، وجزاكم عن الإسلام وأهله خيرًا .

ج : الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد . .

فانتساب هؤلاء إلى الفلسطينيين عار وشنار ، فهذا الشعب الذي سجل بسطور من نور هذه البطولات الأسطورية التي لفتت أنظار العالم في جنين وغيرها ، وأثبت رجاله ونساؤه ، شبانه وشيوخه ، كباره وأطفاله هذا الصمود الخارق الذي لا يكاد يعرف له نظير في دنيانا المعاصرة . هذا الشعب لا يجوز أن ينسب إليه هؤلاء الذين لا يجوز أن ينسبوا إلى الفلسطينيين ، ولا إلى العرب ، ولا إلى المسلمين . فالجميع يبرأ منهم ، والجميع يلعنهم ، ناهيك بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

ولكن جرت سنة الله في خلقه : أن يكون في كل شعب خونة يبيعون آخرتهم بدنياهم ، ويبيعون أمتهم بأعدائهم ، حتى في عهد الرسول ﷺ كان هناك منافقون ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (البقرة:١٦).

والخونة في كل أمة مبغوضون من قومهم ، ملعونون عندهم ، عندما ينكشف أمرهم ، ويفضح سترهم ، فقلما ينجون من نقمة الشعوب إذا عرفتهم ، وحتى من أفلت منهم من العقاب الشعبيّ لسبب وآخر ، فقد يتجه الناس إلى قبره ؛ ليرجموه أو ينبشوه بعد موته ؛ تنفيسًا وانتقامًا .

وأبرز مثال على ذلك : أبو رِغَال العربيّ الذي خان قومه ، وعاون جيش أبرهة الحبشيّ الذي جاء لهدم الكعبة ، ودله على طريق مكة ، فإن عرب الجاهلية عرفوا ذلك فرجموا قبره بالحجارة ؛ إظهارًا للسخط عليه . وفي ذلك يقول جرير في إحدى هجائياته للفرزدق :

إذا مات الفرزدق فارجموه كما يرمون قبر أبي رغال

ولقد اجتهد الكيان الصهيونيّ منذ زمن طويل لتجنيد عدد غير قليل من أبناء فلسطين ؛ ليعملوا لحسابه ، وتنفيذ خططه ، واستخدم في ذلك كل وسائل الإغراء والترغيب ، وغسيل المخ ، وبذرهم في وسط أقوامهم ؛ ليقوموا بدورهم الخائن ، فيتجسسوا على أهليهم لحساب عدوهم ، ويدلوهم على مواطن رجال

المقاومة ، من حماس والجهاد وكتائب الأقصى ، وغيرهم من رجال الفصائل المناضلة ، وكل رجل اغتيل من هذه الفصائل المجاهدة فإنما تم ذلك بمساعدة هؤلاء الخونة الذين يعاونون أعداء أمتهم على الإثم والعدوان .

هؤلاء حكمهم حكم اليهود المحتلين ؛ لأن ولاءهم لهم ، وعونهم لهم ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (المائدة: ٥١).

بل الحق أني أرى هؤلاء شرًّا من اليهود الغزاة المعتدين ، فإن اليهوديّ عدو واضح معروف ، وهذا عدو من جلدتنا ، ويتكلم بلساننا ، فهو من المنافقين الذين قال الله عنهم : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (النساء: ١٤٥).

فالمنافق شر من الكافر ولا شك ، فعبد الله بن أبيٍّ شر من أبي جهل ؛ لأن أبا جهل صرح بكفره فيحذر منه ، أما ابن أبيٍّ ومن سار في ركبه ، فهم الذين ينخرون في عظام المجتمع ، ويهدمونه من داخله .

ومن المقرر أن المنافق إذا استتر بنفاقه ، وعمل أعمال المسلمين الظاهرة ، عومل معاملة المسلمين ، ووكل أمر سريرته إلى الله ، وفقًا لقاعدة : أمرنا أن نحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر . فإذا ظهر منه ما يؤذي المسلمين أخذ به ، وعوقب

العقوبة الرادعة ، كما في قوله تعالى : ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ (الأحزاب: ٦٠-٦١).

وقد قرر الفقهاء : أن عقوبة الجاسوس القتل ، ولا سيما من يتجسس لعدوه على قومه .

وحينما أرسل حاطب بن أبي بلتعة في فتح مكة رسالة إلى أهل مكة يخبرهم فيها بمقدم الجيش المحمديّ ، واعتذر الرجل بكلام يدل على حسن نيته ، وأنه لا يريد الضرر بالمسلمين ، قال عمر : يا رسول الله ، دعني أضرب عنقه فقد نافق! فقال ﷺ : « وما يدريكم أن الله تعالى اطَّلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فإني قد غفرت لكم » .

وقد استنبط العلماء من قصة حاطب ـ كما قال ابن القيم ـ جواز قتل الجاسوس ، وإن كان مسلمًا ؛ لأن عمر طلب قتل حاطب ، وأجابه الرسول بأن ثمة مانعًا من قتله ، وهو شهوده بدرًا . وفي هذا الجواب تنبيه على مشروعية قتل الجاسوس إذا لم يكن عنده مثل هذا المانع . وهذا مذهب مالك وأحد الوجهين في مذهب أحمد ، وقال الشافعيّ وأبو حنيفة : لا يقتل ، ولكن يعزر .

وقال سحنون من المالكية : إذا كاتب المسلم أهل الحرب قتل ولم يستتب . (أي لم تطلب منه التوبة كما تطلب من المرتد).

وقال ابن القاسم: يقتل، ولا يعرف لهذا توبة، وهو كالزنديق.

وقال غيرهما من أصحاب مالك: يجلد جلدًا وجيعًا، ويطال حبسه، وينفى من موضع يقرب من الكفار.

وقال ابن القيم: والصحيح أن قتله راجع إلى الإمام، إن رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله، وإن كان استبقاؤه أصلح استبقاه، والله أعلم[1].

ورأيي: أن هذا أيضًا يرجع إلى مدى جريمة الجاسوس، ومقدار توغله في خدمة الأعداء ومساندتهم، وماذا ترتب على ذلك من مضار، كأن سهل قتل مسلم أو نحو ذلك.

ويجب أن يرد ذلك إلى محكمة مسلمة تنظر في جرائمهم، وتقيم حكمها على أساس البينات، لا على مجرد الدعاوي أو الشبهات، فمن أعان الأعداء على أهله وقومه، ودل على عوراتهم، حتى ترتب على ذلك سفك دم حرام، وجب أن يقتل لا محالة؛ لأنه شر من قطاع الطريق الذين يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فسادًا.

ومن لم يبلغ هذه الدرجة عوقب بما يناسبه إذا ثبت عليه، وينبغي التشديد في الإثبات حتى لا يعاقب أحد بغير حق.

---

(١) زاد المعاد: (٤٢٢/٣ - ٤٢٥) و(٦٤/٥، ٦٥) طبعة الرسالة بتحقيق آل الأرناءوط، وانظر: نيل الأوطار للشوكانيّ (١٥٤/٨-١٥٦) طبعة دار الجيل - بيروت.

كما ينبغي فتح باب التوبة لمن تورط منهم في هذا الجرم ، ثم تبين له خطؤه وخطيئته ، وأن يشجع على ذلك ، فإن باب التوبة مفتوح ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (البروج: ١٠)

فرغم أنهم عذبوا المؤمنين والمؤمنات لم يحرمهم من التوبة ، ولم يغلق بابها في وجوههم لو أرادوا .

وكما في موقف أبي لُبابة رضي الله عنه ، حينما أخبر اليهود بمصيرهم بعد انتهاء غزوة بنى قريظة ، وكان الرسول ﷺ قد عزم على قتلهم ، فلما سألوا أبا لبابة : ما يفعل فينا رسولكم؟ فلم يتكلم إنما أشار إلى عنقه ؛ كناية عن الذبح والقتل ، فاعتبر أبو لبابة هذه الإشارة خيانة لله ورسوله والمؤمنين ، فذهب إلى مسجد الرسول ﷺ وربط نفسه فيه حتى يقبل الله توبته ، ونزل العفو عنه من الله ، وقبول توبته ، وقد أخبره بذلك رسول الله ﷺ .

فمن صحا ضميره ، وأراد أن يكفر عن ماضيه ، فباب الجهاد واسع ، عسى الله أن يبدل سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيمًا.

* * *

مقاطعة
البضائع الإسرائيلية والأمريكية

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه ، أما بعد ..

فمما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة : أن الجهاد لتحرير أرض الإسلام ممن يغزوها ويحتلها من أعداء الإسلام واجب محتم وفريضة مقدسة ، على أهل البلاد المغزوة أولاً ، ثم على المسلمين من حولهم إذا عجزوا عن مقاومتهم ، حتى يشمل المسلمين كافة .

فكيف إذا كانت هذه الأرض الإسلامية المغزوة هي القبلة الأولى للمسلمين ، وأرض الإسراء والمعراج ، وبلد المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله؟ وكيف إذا كان غزاتها هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا؟ وكيف إذا كانت تساندها أقوى دول الأرض اليوم ، وهي الولايات المتحدة الأمريكية ، كما يساندها اليهود في أنحاء العالم؟

إن الجهاد اليوم لهؤلاء الذين اغتصبوا أرضنا المقدسة ، وشردوا أهلها من ديارهم ، وسفكوا الدماء ، وانتهكوا الحرمات ، ودمروا البيوت ، وأحرقوا المزارع ، وعاثوا في الأرض فسادًا . . هذا الجهاد هو فريضة الفرائض ، وأول الواجبات على الأمة المسلمة

في المشرق والمغرب . فالمسلمون يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، وهم أمة واحدة ، جمعتهم وحدة العقيدة ، ووحدة الشريعة ، ووحدة القبلة ، ووحدة الآلام والآمال ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ (الأنبياء:٩٢) . ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(الحجرات:١٠). وفى الحديث الشريف :« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله». رواه مسلم .

وها نحن نرى اليوم إخواننا وأبناءنا في القدس الشريف ، وفى أرض فلسطين المباركة ، يبذلون الدماء بسخاء ، ويقدمون الأرواح بأنفس طيبة ، ولا يبالون بما أصابهم في سبيل الله ، فعلينا ـ نحن المسلمين في كل مكان ـ أن نعاونهم بكل ما نستطيع من قوة ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ (الأنفال:٧٢) . ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة:٢).

ومن وسائل هذه المعاونة: مقاطعة بضائع العدو مقاطعة تامة، فإن كل ريال أو درهم أو قرش أو فلس ، نشتري به سلعهم يتحول في النهاية إلى رصاصة تطلق في صدور إخواننا وأبنائنا في فلسطين .

لهذا وجب علينا ألا نعينهم على إخواننا بشراء بضائعهم ؛ لأنه إعانة على الإثم والعدوان . فالشراء منهم يقويهم ، وواجبنا أن نعمل على إضعافهم ما استطعنا ، كما علينا أن نقوي إخواننا المرابطين في الأرض المقدسة ما استطعنا ، فإن لم نستطع أن

نقويهم ، فالواجب علينا إضعاف عدوهم . فإذا كان إضعافهم لا يتم إلا بالمقاطعة ، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

والبضائع الأمريكية مثل البضائع الإسرائيلية في حرمة شرائها والترويج لها . فأمريكا اليوم هي إسرائيل الثانية . ولولا التأييد المطلق ، والانحياز الكامل للكيان الصهيونيّ الغاصب ما استمرت إسرائيل تمارس عدوانها على أهل المنطقة ، ولكنها تصول وتعربد ما شاءت بالمال الأمريكيّ ، والسلاح الأمريكيّ ، والفيتو الأمريكيّ .

وأمريكا تفعل ذلك منذ عقود من السنين ، ولم تر أيَّ أثر لموقفها هذا ، ولا أيَّ عقوبة من العالم الإسلامى ؛ احتجاجًا على مواقفها المتحيزة الجائزة .

وقد آن الأوان لأمتنا الإسلامية أن تقول : لا ، لأمريكا ، ولشركاتها ولبضائعها التي غزت أسواقنا ، حتى أصبحنا نأكل ونشرب ونلبس ونركب مما تصنع أمريكا .

ولقد قال عليّ رضي الله عنه : ثلاثة عدوك : عدوك ، وصديق عدوك ، وعدو صديقك .

وأمريكا اليوم أكثر من صديق لعدونا ، إنها وصلت مرحلة (الفناء) في إسرائيل !

إن الأمة الإسلامية التي تبلغ اليوم مليارًا وثلث المليار من المسلمين في أنحاء العالم يستطيعون أن يوجعوا أمريكا وشركاتها بمقاطعتها ، وهذا ما يفرضه عليهم دينهم وشرع ربهم .

فكل مسلم اشترى من البضائع الإسرائيلية والأمريكية ما يجد بديلاً له من دول أخرى ، فقد ارتكب حرامًا ، واقترف إثمًا مبينًا . وباء بالوزر عند الله ، والخزي عند الناس .

وأما الإخوة المسلمون الذين يعيشون داخل إسرائيل ، أو داخل أمريكا ، فهم مضطرون للتعامل معهم ، وشراء سلعهم ومنتجاتهم ، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ، والضرورات لها أحكامها ، ولكنها تقدر بقدرها ، وقد قال تعالى : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ (التغابن:١٦) . وقال رسوله الكريم : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » . متفق عليه .

وعلى المسلمين في داخل الولايات المتحدة أن يتعاملوا مع الشركات الأقل عداء للمسلمين ، والأقل تعصبًا وممالأة للصهيونية ، وأن يقاطعوا ما أمكنهم الشركات المتحيزة للصهيونية .

كما يجب على العرب والمسلمين حيثما كانوا أن يقاطعوا كل الشركات المنحازة للصهاينة ، والمساندة لإسرائيل ، من أيّ بلد كانت ، مثل (ماركس آند سبنسر) ومن كان على شاكلته في تأييد الصهيونية ، ومؤازرة دولتها (إسرائيل).

إن المقاطعة سلاح فعال من أسلحة الحرب قديمًا وحديثًا ، وقد استخدمه المشركون في العهد المكيّ في محاربة النبيّ ﷺ وأصحابه ، فآذاهم إيذاء بليغًا ، حتى أكلوا أوراق الشجر .

كما استخدمه بعض الصحابة في محاربة المشركين في العهد المدنيّ ، كما روت كتب السيرة . لما أسلم ثُمامة بن أثال الحنفيّ رضي الله عنه ، خرج معتمرًا ، فلما قدم مكة ، قالوا : أصبوت يا ثمامة ؟ فقال : لا ، ولكني اتبعت خير الدين ، دين محمد ، ولا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ . ثم خرج إلى اليمامة ، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئًا ، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ : إنك تأمر بصلة الرحم ، وإنك قد قطعت أرحامنا ، وقد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع ، فكتب رسول الله ﷺ إليه أن يخلى بينهم وبين الحمل[1] .

وفى العصر الحديث رأينا الشعوب تستخدم سلاح المقاطعة في معاركها للتحرر من الاستعمار . ولعل أبرز من فعل ذلك المهاتما غاندي في دعوته الشعب الهندي الكبير لمقاطعة بضائع الإنجليز ، وقد كان لذلك أثره البليغ في حرب التحرير .

والمقاطعة سلاح في أيدي الشعوب والجماهير وحدها ، لا تستطيع الحكومات أن تفرض على الناس أن يشتروا بضاعة

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام (٤/٢١١) طبعة دار الجيل ، وطبقات ابن سعد (٥/٥٥٠) والسيرة النبوية لابن كثير (٤/٩٣) .

من مصدر معين . فلنستخدم هذا السلاح لمقاومة أعداء ديننا وأمتنا ، حتى يشعروا بأننا أحياء ، وأن هذه الأمة لم تمت ، ولن تموت بإذن الله .

على أن في المقاطعة معاني أخرى غير المعنى الاقتصاديّ . إنها تربية للأمة من جديد على التحرر من العبودية لأذواق الآخرين الذين علموها الإدمان لأشياء لا تنفعها ، بل كثيراً ما تضرها . والمقاطعة إعلان عن أخوة الإسلام ، ووحدة أمته ، وأننا لن نخون إخواننا الذين يقدمون الضحايا كل يوم ، بالإسهام في إرباح أعدائهم . وهي لون من المقاومة السلبية ، يضاف إلى رصيد المقاومة الإيجابية التي يقوم بها الإخوة في أرض النبوات ، أرض الرباط والجهاد .

وإذا كان كل يهوديّ في العالم يعتبر نفسه مجنداً لنصرة إسرائيل بكل ما يقدر عليه . فإن كل مسلم في أنحاء الأرض مجند لتحرير الأقصى ، ومساعدة أهله بكل ما يمكنه من نفس ومال ، وأدناه مقاطعة بضائع الأعداء ، وقد قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (الأنفال:٧٣).

وإذا كان شراء المستهلك للبضائع اليهودية والأمريكية حرامًا وإثمًا ، فإن شراء التجار لها ؛ ليربحوا من ورائها ، وأخذهم

توكيلات شركاتهم أشد حرمة وأعظم إثمًا ، وإن تخفَّت تحت أسماء يعلمون أنها مزورة ، وأنها إسرائيلية الصنع يقينًا .

إن الأمة الإسلامية في أنحاء الأرض مطالبة أن تثبت وجودها ، وغيرتها على مقدساتها ، وأنها تعرف من لها ومن عليها ، من صديقها ومن عدوها ، ولا يجوز لها أن تستسلم للوهن واليأس ، وتقبل السلام الجائر الذي تفرضه عليها الصهيونية المغتصبة ، يقول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ (محمد: ٣٥).

وعلى أخواتنا وبناتنا من ربات البيوت دور كبير في هذه القضية لعله أهم من دور الرجل ؛ لأن المرأة هي التي تشرف على طلبات البيت ، وشراء ما يلزم له من السلع والأدوات ، وهي الألصق بتوجيه البنين والبنات من الأطفال ، وإشرابهم الروح الجهادية ، وتوعيتهم بما يجب عليهم نحو أمتهم وقضاياها ، وما يلزمهم نحو أعدائها وخصوصًا في مجال المقاطعة ، وإذا وعى الأطفال ذلك التزموه بحماس وقوة ، وأصبحوا هم بعد ذلك الذين يوجهون الآباء والأمهات .

وإني أدعو هنا كل المؤمنين بالله تعالى من المسيحيين ومن غيرهم ، وكل المؤمنين بالقيم الأخلاقية ، وكل الأحرار والشرفاء في العالم : أن يقفوا بجانبنا ، وأن يساندوا الحق ضد الباطل ،

والعدل ضد الظلم ، وأن ينتصروا للمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يسقط منهم كل يوم قتلى وجرحى في سبيل الله والدفاع عن حرماتهم ومقدساتهم .

كما أهيب بالعمال في بلاد العرب والمسلمين وفى أنحاء الأرض : أن يناصروا الفلسطينيين في قضيتهم العادلة ، ويغضبوا لهم ، ويحتجوا على أصحاب القوة الغاشمة بما يقدرون عليه من تعطيل مصالحهم .

وأخيرًا أدعو الحكماء والعقلاء وأهل الخبرة في كل بلد : أن يكوِّنوا اللجان التي تنظم المقاطعة ، وتهيئ البدائل ، وتتفادى السلبيات ، وتستمر في توعية الجماهير ، حتى تعلو كلمة الحق ، ويزهق الباطل ﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(الإسراء:٨١).

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(التوبة:١٠٥)

* * *

السفر لزيارة المسجد الأقصى

سَ : هل يجوز السفر لزيارة المسجد الأقصى وهو واقع تحت براثن الاحتلال الإسرائيلى ، وذلك رغبة في الأجر المعلوم لمن يصلي فيه؟

ج : الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه . . .

وأما بعد . .

فإن الإسلام يفرض على المسلمين أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ؛ لاسترداد أرضهم المغصوبة ، ولا يقبل منهم أن يفرطوا في أيّ شبر أرض من دار الإسلام ، يسلبها منهم كافر معتدٍ أثيم ، وهذا أمر معلوم من الإسلام للخاصة والعامة ، وهو مجمع عليه إجماعًا قطعيًّا من جميع علماء الأمة ، ومذاهبها كافة ، لا يختلف في ذلك اثنان ، ولا ينتطح فيه عنزان ، كما يقال .

وهذا الحكم في أى جزء من دار الإسلام ، أيًّا كان موقعه ، من بلاد العرب أو العجم ، فكيف إذا كان هذا الجزء هو أرض الإسراء والمعراج ، ومربط البراق ، ودار المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ، أولى القبلتين في الإسلام ، وثالث المساجد العظيمة التي لا تشد الرحال إلا إليها؟!

إن هـذا يؤكـد وجـوب الجهـاد والقتـال في سـبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان .

وإذا قصر المسلمون في الجهاد للذود عن أوطانهم والدفاع عن حماهم ، واسترداد ما اغتصب من ديارهم ، أو عجزوا عن ذلك لسبب أو لآخر ، فإن دينهم يفرض عليهم مقاطعة عدوهم مقاطعة اقتصادية واجتماعية وثقافية لعدة أسباب :

أولها : أن هذا هو السلاح المتاح لهم ، والقدر الممكن من الجهاد ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ (الأنفال: ٦٠) . فلم يأمرنا الله إلا بإعداد المستطاع ، ولم يكلفنا ما لا طاقة لنا به . فإذا سقط عنا نوع من الجهاد لا نقدر عليه ، لم يسقط عنا أبدًا ما نقدر عليه ، وفي الحديث الصحيح : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » . متفق عليه .

وثانيها : أن تعاملنا مع الأعداء ـ شراءً منهم وبيعًا لهم ، وسفرًا إلى ديارهم ـ يشد من أزرهم ، ويقوي دعائم اقتصادهم ، ويمنحهم قدرة على استمرار العدوان علينا ، بما يربحون من ورائنا ، وما يجنونه من مكاسب مادية ، وأخرى معنوية لا تقدر بمال . فهذا لون من التعاون معهم ، وهو تعاون محرم يقينًا ؛ لأنه تعاون على الإثم والعدوان ، قال تعالى : ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ** ﴾ (المائدة: ٢).

وثالثها : أن التعامل مع الأعداء المغتصبين استقبالاً لهم في ديارنا ، وسفرًا إليهم في ديارهم ، يكسر الحاجز النفسيّ بيننا وبينهم ، ويعمل ـ بمضيّ الزمن ـ على ردم الفجوة التي حفرها الاغتصاب والعدوان ، والتي من شأنها أن تبقي جذوة الجهاد مشتعلة في نفوس الأمة ، حتى تظل الأمة توالي من والاها ، وتعادي من عاداها ، ولا تتولى عدو الله وعدوها المحارب لها ، المعتدى عليها ، وقد قال تعالى : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ** ﴾ (الممتحنة:١) . وهذا ما يعبرون عنه بـ (التطبيع) أي جعل العلاقات بيننا وبينهم (طبيعية) سمنًا على عسل ، كأن لم يقع اغتصاب ولا عدوان . وهم لا يكتفون اليوم بالتطبيع الاقتصاديّ ، إنهم يسعون إلى التطبيع الاجتماعيّ والثقافيّ وهو أشد خطرًا .

ورابعها : أن اختلاط هؤلاء الناس بنا ، واختلاطنا بهم ، بغير قيد ولا شرط ، يحمل معه أضرارًا خطيرة بنا ، وتهديدًا لمجتمعاتنا العربية والإسلامية ، بنشر الفساد والرذيلة والإباحية التي ربوا عليها ، وأتقنوا صناعتها ، وإدارة فنونها ، وما وراءها من أمراض قاتلة فتاكة ، مثل (الإيدز) وغيره . وهم قوم يخططون لهذه الأمور تخطيطًا ماكرًا ، ويحددون أهدافهم ، ويرسمون خططهم لتحقيقها بخبث وذكاء ، ونحن في غفلة لاهون ، وفي غمرة ساهون .

لهذا كان سد الذرائع إلى هذا الفساد المتوقع فريضة وضرورة : فريضة يوجبها الدين ، وضرورة يحتمها الواقع .

في ضوء هذه الاعتبارات نرى أن السفر أو السياحة إلى دولة العدو الصهيونيّ ـ لغير أبناء فلسطين ـ حرام شراعًا ، ولو كان ذلك بقصد ما يسمونه (السياحة الدينية) أو زيارة المسجد الأقصى، فما كلف الله المسلم أن يزور هذا المسجد ، وهو أسير تحت نير دولة يهود ، وفى حراسة حراب بني صهيون ، بل الذي كلف المسلمون به هو تحريره وإنقاذه من أيديهم ، وإعادته وما حوله إلى الحظيرة الإسلامية . وخصوصًا أنه يتعرض لحفريات مستمرة من حوله ومن تحته لا ندري عواقبها ، إنما يدري بها اليهود الذين ينوون أن يقيموا هيكلهم على أنقاضه ، ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٣٠).

إننا جميعًا نَحِنُّ إلى المسجد الأقصى ، ونشتاق إلى شد الرحال إلى رحابه المباركة ، فإن الصلاة فيه بخمسمائة صلاة في المساجد العادية .

ولكنَّا نُبْقِي شعلة الشوق متقدة حتى نصلي فيه ـ إن شاء الله ـ بعد تحريره وما حوله ، وإعادته إلى أهله الطبيعيين وهم أمة العرب والإسلام .

ويستطيع المسلم الذي يريد أن يكسب أجر مضاعفة الصلاة في المسجد الأقصى : أن يشد رحاله إلى المسجد النبويّ الشريف ،

فإن الصلاة فيه بألف صلاة في المساجد العادية ، أي أن أجرها ضعف أجر الصلاة في المسجد الأقصى .

بل يستطيع أن يشد رحاله إلى المسجد الحرام الذي هو أفضل بيوت الله على الإطلاق ، وأول بيت وضع في الأرض لعبادة الله تعالى ،والصلاة فيه بمائة ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد النبويّ، والمسجد الأقصى .

ومعنى هذا : أن الصلاة في المسجد الحرام بمكة المكرمة تعدل مائتي صلاة في المسجد الأقصى ، فمن اشتاق إلى المسجد الأقصى اليوم فليطفئ حرارة شوقه بالسفر إلى المسجد النبويّ بالمدينة ، أو المسجد الحرام بمكة ، حتى يُمكِّن الله الأمة من إعادة الحق إلى نصابه ، ورد الأمانات إلى أهلها ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾ (الروم: ٤-٥).

وأما دعوى أن السلام قد حلَّ محل الصراع بيننا وبين بني صهيون ، فهي دعوى لا تقوم على ساقين ، والقدس لم تَرِد إلينا ، بل لا زال قادة الكيان الصهيونيّ يعلنون : أن القدس هي العاصمة الأبدية لدولتهم ، ولا زالوا يزرعون المستوطنات من حولها ويغيرون من معالمها ، ولا زال المسجد الأقصى تحت رحمتهم أو قسوتهم ، ولا زال اللاجئون الفلسطينيون مشردين في الأرض ، ولا زال السلام المزعوم كله في مهب الريح ، ولا زال ... ولا زال ...

هذا لو قبلنا مبدأ السلام مع مغتصبي الأرض ، فكيف وهو مرفوض شرعًا ، كما بينا ذلك في فتاوى سابقة ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ (الأنفال: ٤٢).

هذا ما أقوله للأمة في هذه الآونة الخطيرة التي يُراد أن يغيب عنها وعيها بقضاياها ، وأن تحقن بمخدرات من الأفكار تفقدها القدرة على الحركة ، بل على التمييز بين الصواب والخطأ ، لكن الأخطر من هذا كله أن تجرأ بعض من ينتسبون إلى الدين ـ ممن فقدوا العلم الواسع أو التقى الرادع ـ ليفرِّخوا فتاوى تجيز للأمة أن تضع أيديها مختارة في أيدي قاتليها ومغتصبي ديارها ، مؤثرين المصالح الآنية الجزئية المحدودة المظنونة على المصالح الكبرى الأساسية الكلية الدائمة والقطعية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، اللهم آمين .

* * *